• دريافت ١٤٠١/٠٢/٠٥
• تأييد ١٤٠١/٠٨/١١

دراسة رواية «الحريق» لمحمد ديب في ضوء نظرية البنيوية التكوينية لغولدمان

آزاده منتظري*
محمود رضا توكلی محمدی**
علي باقر طاهري نيا***

الملخص

علم الاجتماع الأدبي أو سوسيولوجيا الأدب تعد من الاتجاهات الجديدة التي ظهرت في مجال الأدب وتسعى إلى دراسة العلاقة بين الأدب والمجتمع، وفي هذا الحقل قد طرح لوسيان غولدمان نظرية البنيوية التكوينية على أساس التفاعل بين النص الأدبي وبنية المجتمع التحتية. قد استهدفت هذه المقالة على أساس المنهج الوصفي التحليلي، دراسة سوسيولوجية لرواية «الحريق» لمحمد ديب، الكاتب الجزائري المعاصر، وفقاً لهذه النظرية. في هذا الصدد تمت دراسة عناصر من السياقات الدلالّية للرواية مثل معرفة الوعي الحالي والوعي المحتمل للشخصيات، البطل الإشكالي، والوعي الفردي. كانت النقطة الجديرة بالملاحظة هي عدم تحول شخصيات الرواية طوال الرواية وعدم تحول وعيهم الحالي إلى الوعي الممكن. وفي النهايه يجب القول بأن محمد ديب قد أجاد في تقديم الصورة الاجتماعية للجزائر، ور سم السياقات الدلالية للرواية والتي ظهرت على الصعيدين الاجتماعي والسيا سي في الرواية من الفقر المدقع للشعب الجزائري بسبب اظطهاد الفرنسيين، والضعف الثقافي القاتل، وجهود الناس لتغيير الوضع وغير ذلك من السياقات الاجتماعية والسياسية التي أثرت في محمد ديب وسببت كتابة هذه الرواية الخلابة.

الكلمات الرئيسة: الدراسة السوسيولوجية، البنيوية التكوينية، محمد ديب، الحريق.

* أستاذة مساعدة قسم اللغة العربية بجامعة قم (الكاتبة المسؤولة) a.montazeri@qom.ac.ir
** أستاذ مساعد قسم اللغة العربية بجامعة فرهنگيان mr.tavakoli@cfu.ac.ir
*** أستاذ قسم اللغة العربية بجامعة طهران btaheriniya@ut.ac.ir

مقدمه

يعدّ النقد الاجتماعي للأدب من المناهج الجديدة التى وُلدت ونشـأت تحت ظلّ صـلة الأدب بالنظريات الاجتماعية المعاصرة عامة والماركسية خاصة، وهو منهج يجمع بين الأدب والمجتمع في مختلف السطوح والمستويات محاولاً رفع الستار عن هذه الصلة بينهما، ويجري اهتمام الناقد الاجتماعي في فهم هذه الظاهرة محاولاً توضـيحها، وكشف الستار عن غوامضها وما يتعلق بها. «تعدّ قضية العلاقة المتبادلة بين المجتمع والأدب من القضـايا التي قد لفتت انتباه عدد ملحوظ من النقاد منذ القديم؛ المادة الرئيسـية للأدب هي اللغة... وعندما يسـتخدمها شـاعر أو كاتب للتعبير عن مفاهيم موضـوعية وعقلية، فإننا نفسـرها بالأدب؛ إذن فمن الممكن أن نعدّها اجتماعيةً في ذاتها حسب مادتها المكوّنة منها.» (ولك،۱۳۷۳: ۹۹) «هناك من يحاول تحديد ماهية الأدب من خلال ربطه بغيره من الظواهر... وخلافاً لكل ما تقدم، ثمة من يرى أن الأدب شـكل جمالي خالص أو عمل فني بحت... ولا صـلة لها بخارج النص؛ وعلى عكس هؤلاء يرى الآخرون أن الأدب تعبير بالكلمة عن موقف الأديب من العالم، أو أنه أداة تعبير طبقية، أو أنه صياغة لتجربة إنسانية عميقة، أو أنه استخدام خاص للغة لتحقيق هدف ما.» (الماضـي، ۱۹۸۶: ۱۱) لطالما نظر المفكرون في مفهوم الارتباط بين المجتمع والأدب، فعندما يتحدث أفلاطون في كتابه «الجمهورية» عن الصلة بين الشاعر وشعره، وبين الجمهور، ويرفض التأثير الإيجابي للشاعر في الحياة الاجتماعية للجمهور، بطريقة ما يبدأ مناقشـة العلاقة بين الأدب والمجتمع؛ «مفهوم المحاكاة الأفلاطونية يضـمّن فهم الأدب كصـورة تعكس المجتمع.» (دسـتغيب،۱۳۸۷: ۸۰) ناقش أرسـطو قضـية المحاكاة بعد أفلاطون وبيّن الأواصـر بين الصـورة الفنية والواقع الاجتماعي؛ لذلك لم يتجاهل أحد ربط العمل الأدبي والفني بعالم المجتمع والتطورات الخارجية: «لقد أدرك العالم اليوم جيداً ضـرورة إجراء بحوث متعدد التخصصـات وفراغ وجود علوم جديدة تؤدي إلى هذا الهدف، واسـتجاب لهذه الحاجة من خلال إنشـاء

تخصصات علمية متكاملة.» (غولدمان: ۱۳۸۱: ۱۵) فمن هذا المنطلق قد أطلق عنوان النقد الاجتماعي على كل نقد يتم في إطار المباحث النظرية لهذا العلم. قد أدرك أدباء العرب ظهور هذا العلم من خلال دراسة النظريات الأدبية الغربية؛ «إن النقد الأدبي العربي بدأ يتحول منذ أوائل القرن الثالث عشر الهجري بعد غزو نابليون لمصر إذ أنه أدّى إلى دراسة النقد الأدبي الغربي، وظهور مدارس جديدة، وازدهار دراسات شرقية وأبحاث جديدة في الأدب.» (امامی،۱۳۷۷: ۵۹)

حاول محمد ديب، الشاعر والكاتب الجزائري، أن يقدم صورة موضوعية ومنوّعة للمجتمع الجزائري في السنوات الأخيرة التي انتهت إلى تحرر البلاد من نير الاستعمار في ثلاثيته "الدار الكبيرة، الحريق والنول" التي تعدّ من الروايات التي تكون على صلة وثيقة بالقضايا الاجتماعية لمجتمعه الجزائري. يسلط الكاتب الضوء في الثلاثية على إحدى الجوانب والمجالات الرئيسية لحياة الناس في الجزائر آنذاك، ويكشف عن آثار الاستعمار فيها، كما أنه يعرض في روايته أوضاع القرويين الجزائريين، ويتطرّق إلى الوضع البائس المرير لهم. يرمي البحث الحاضر، ووفق المنهج الوصفي - التحليلي، إلى دراسة سوسيولوجية لرواية "الحريق" بناء على نظرية "البنوية التكوينية" للوسيان غولدمان ومناقشة السمات الاجتماعية فيها وفق هذه النظرية في مرحلتي "الاستلام" و"الشرح" على أساس موضوعها ومحتواها، وهي سرد قصة في فترة بداية الثورة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي، أيضا سيتكلم عن مدى تأثر البيئة الاجتماعية كبنية تحتية في كتابة هذه الرواية. التطرق إلى الأحداث السياسية والاجتماعية في الجزائر قبيل الحرب العالمية الثانية قد حدا الكاتب إلى نقد المجتمع وإظهار آرائه الاجتماعية تجاهه؛ ومن الواضح في دراسة هذه الرواية أن الوضع السياسي والاجتماعي للجزائر إبان حرب استقلال هذا البلد كان مادة محمد ديب الأدبية لكتابة الرواية. فعلى هذا الأساس يرجع سبب اختيار الرواية إلى كتابتها وفقاً للبنى التحتية للمجتمع الجزائري في مرحلة تاريخية محددة تعاني فيها الجزائر من الاستعمار

الخارجي من جهة والضــعف الثقافي والعلمي والانحطاط الأخلاقي من جهة أخرى وهذه الظروف، مهدّت الســبيل لدراســة الرواية على ضــوء هذه النظرية الاجتماعية. أهمية هذا البحث وأمثاله تتبلور في أهمية القضــايا المتعلقة بالنقد الاجتماعي للأدب، والظروف الاجتماعية والثقافية للجزائر في الفترة المعاصــرة، وأيضــاً قلة البحوث الاجتماعية النقدية في الأدب الجزائري. أما الأسـئلة التي يحاول البحث الحاضــر أن يجيب عليها بين دفتيه فهي:

١. ما هي أهم المكونات الاجتماعية والثقافية لرواية «الحريق» في إطار نظرية البنيوية التكوينية؟

٢. كيف أثرت البنى التحتية للمجتمع الجزائري في كتابة هذه الرواية؟

خلفية البحث

حاز محمد ديب، الكاتب الجزائرى المعاصــر، على العديد من الجوائز نظراً لشــهرة أعماله ورواياته؛ فقد تمّ بعض الدراســات حول هذه الروايات في مختلف الدول العربية وكذلك في إيران. ومن أعماله في هذا المجال ثلاثية تتكون من ثلاث روايات: الدار الكبيرة والحريق والنول، بعض البحوث التي أجريت حول هذه الثلاثية عبارة عن:

مقالة " تحليل جامعه شــناختى جنگ اســتقلال الجزاير وبازنمايى آن در آينه‌ى ادبيات: النقد الاجتماعى لحرب الجزائر وانعكاســها في الأدب" بقلم فريدة علوى وزينب رضــوان طلب، في مجلة مطالعات جهان، العدد ٢، ســال ١٣٩٢ش. في هذه المقالة، تدرس الكاتبتان حرب الاســتقلال الجزائرية (١٩٥٤-١٩٦٢م) وتبحثان عن انعكاسها في الأدب الجزائري. المنهج في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي التحليلي وطريقة جمع الموارد، المكتبة.

مقالة "نقد جامعه شـناختى داسـتان الدار الكبيرة اثر محمد ديب: النقد الاجتماعي لرواية الدار الكبيرة لمحمد ديب" بقلم فاطمه قادرى وسميه پورامينايى، مجلة "نقد ادب

معاصـــر عربی"، العدد۷، شـــتاء ۱۳۹۳ش. حاولت الكاتبتان في هذه المقالة وعلى المنهج الوصـفي التحليلي، دراسـة دور فرنسـا في اسـتعمار الجزائر وانعكاسـه في رواية الدار الكبيرة من منظور اجتماعي، وفي المجالات الاجتماعية والاقتصـــادية والدينية والســـياســـية والثقافية، هذه المقالة تطرق بين دفتيها إلى الفقر والجهل والتخلف والاختناق وآفات المجتمع الجزائري وانعكاسها في رواية الدار الكبيرة.

أطروحة " الاتجاه الواقعي في الرواية الجزائرية، محمد ديب نموذجا " التي كتبت على يد صـــبرينة بلغيت عام ٢٠١٤، وأعدت في جامعة أبوبكر تلمســـان. تم إنجاز هذا البحث في مستوى البكالوريوس ودرست الكاتبة فيها بعض السمات العامة في الرواية الجزائرية فيما يرتبط بالاتجاه الواقعي.

مقالة "المكان وأثره على الشخصيات فى ثلاثية محمد ديب(الدار الكبيرة والحريق نموذجا)" قد أعدها محمدرضـا أحمدي وخليل پروينى، والمنتشـرة في مجلة الدراسـات الأدب المعاصـــر. العدد۲۹، ۱۳۹۵ش. قد تناول الكاتبان في هذا المقال تأثير المكان على الشـخصـية في الرواية وقد اختارا روايتين، الدار الكبيرة والحريق من ثلاثية محمد ديب.

أطروحة "المقاربة الاجتماعية فى رواية الحريق لمحمد ديب" لعائشة نملي ونسيمه دحاك، عام ٢٠١٧م بإشـراف الدكتور مصـطفى وليد يوسـف في مرحلة الماجسـتير في جـامعـة العقيـد بـالجزائر. المنهج العلمي في هـذه الأطروحـة هو المنهج الوصـــفي التحليلي، وتمّ اســـتخراج المعلومات من المصـــادر المكتبية. من النقاط الجديرة بالملاحظة في هذه الرسـالة أن الكاتبتين لاتذكران سـوى مجموعة من النقاط العامة والغامضة في مجال النقد الاجتماعي، وما تعتنقان في مجال التحليل والنقد أي منهج خاص مثل آراء لوكاش أو غولدمان أو الآراء الماركسـية التي تسـتدعى في مجال النقد الاجتماعي.

مقالة "تطبيق پسـااسـتعمارى شـخصـيت اصـلى ورقيب در رمان روسـتايى الجزاير

وايران، مطالعه الحريق ديب وتوپ ساعدى"، بقلم مسعود محمدى خانقاه والآخرين، مجله الجمعية العلمية الايرانيه للغة العربية وآدابها، عدد ٥١، ١٣٩٧ش. في هذه المقالة، يبني الكاتبون أعمالهم على النظريات النقدية المعاصرة، ومجال أبحاثهم في هذه المقالة هو إيران بعد الاستعمار الروسي، والجزائر بعد الاستعمار الفرنسي. قد حاول الكتّاب مقارنة الشخصية الرئيسية في روايتي "توپ " لساعدي و"الحريق" لمحمد ديب، على ضوء المدرسة الأمريكية في الأدب المقارن، والمنهج الوصفي التحليلي لإدراك الفرق بين تصرفات البطل في هاتين الروايتين.

وفي الختام، تجدر بالإشارة إلى أن رواية الحريق وإن تم تحليلها من خلال دراسة ثلاثية محمد ديب، ولكنها كانت من زوايا مختلفة غير الذي هذه الدراسة تقصده، ولم يتم إعداد بحث مستقل عنها من منظور النقد الاجتماعي ولا نظرية البنيوية التكوينية على الإطلاق، الأمر الذي حدا الكاتبين إلى إنجاز بحث حولها في هذا المقال.

النقد السوسيولوجي

«يتفق معظم الباحثين على أنَّ الإرهاصات الأولى للمنهج الاجتماعي في دراسة الأدب ونقده بدأت منهجياً منذ أن أصدرت الكاتبة والروائية الفرنسية مدام دوستال (١٨١٧-١٧٦٦) كتابها "الأدب في علاقته بالأنظمة الاجتماعية" عام ١٨٠٠م و"عن آلمانيا" عام ١٨١٣م، تتحدث فيه عن دور عامل الهوية القومية وعلاقته بالوسط الاجتماعي وتأثيراتهما في الإبداع والذوق الفني والقول الأدبي. فقد تبين أنّ مبدأ الأدب تعبير عن المجتمع.» (هويدي، ١٤٢٦: ٩٤) تم وضع الأسس الأولى لعلم اجتماع الأدب في فرنسا في بداية القرن التاسع عشر على وجه التحديد، إذ أن ظهور الثورة الفرنسية والثورة الصناعية وكذا ظهور النظام الرأسمالي والصراعات الطبقية الناتجة منها لعب دوراً هاماً في تشكيل النقد الاجتماعي، ولأجل هذه الأحداث الهامة في فرنسا، وأيضا لأجل التأثير القوي للثورة الفرنسية على المعادلات السياسية

والاجتماعية في أوروبا في ذلك الوقت، بدأ علم الاجتماع والنقد الاجتماعي يجد طريقه من هذا البلد إلى دول أوروبية أخرى وكذا دول أخرى في العالم. «الاجتماعية التي وردت في مجال العلاقات القائمة بين الأدب والمجتمع منذ نشـأتها إلى تطورها، تقوم بشـرح أهم النظريات والمفاهيم فيها إضـافة إلى عرض تاريخي موجز، وتحديد نسـبي لبعض المناهج الأدبية التي تتصـل بالمجتمع والقضـايا الاجتماعية.» (أبوشـقراء، لاتا: ۳۹)

«لقد أثر علم الاجتماع الأدبي في الحركة الأدبية النقدية بحيث اتسع نطاقه وانقسم بـدوره إلى فروع متعـددة: علم اجتمـاع القراءة، علم اجتمـاع النص، علم اجتمـاع الأجناس الأدبية، علم اجتماع الرواية على نحو ما ظهر عند لوسـيان غولدمان. (تومي، ۲۰۱۴: ۲۳۸) فعلى الرغم من أن الرواية قد كتبت تقليداً للواقع والإنسـان والعادات والحالات البشرية، وتعكس بنية المجتمع بطريقة خاصة إلا أن كاتبها يحاول بمساعدة خياله ومقدرته الفنية، خلق مغامرة تعبّر عن الغرائز والعواطف البشـرية وترسـم الرغبات والطبايع أو تصف أحداث رائعة تجذب انتباه القارئ. (ستوده،۱۳۷۸: ۴۴)

فالنقد السوسيولوجي يخرج الأدب من بُعده الفردي ويدخله في سياق أوسع، وهو دراسـة العلاقة المتبادلة بين الأدب والمجتمع. في هذا الصـدد، رغم أن الأديب له مكانة كمبدع للعمل الأدبي، إلا أن هذه المكانة لم تعد فرديةً بل من وجهة النظر هذه، يعتبر الأديب ممثلاً لطبقته الاجتماعية. يتبلور أهمية هذا النقد في موضـوع هام هو «أن الإنسـان بناءً على الوضـعية الموجودة في مجتمعه يحاول أن يأتي بإجابة دلالية حيال ما يحدث فيه ويسـعى أن يراعي التوازن بين الفاعل[الكاتب] وبين الموضـوع [الجامعة].» (باسكادى، ۱۳۷۶: ۵۶)

الماركسية والنقد الاجتماعي

«يعدّ النقد السـوسـيولوجي للأدب من إحدى المناهج الجديدة نسـبياً في البحث

الأدبي، المنهج الذي يتطرق الناقد فيه إلى اســتقصــاء بنية العمل الأدبي ومحتواه، ويدرس علاقتها ببنية المجتمع وتطوراته الذي وُلد منه النص الأدبي، والأهم في هذا النقد هو انعكاس صورة المجتمع في العالم الخيالي والفني للأعمال الأدبية والأشكال المختلفة.» (عســكرى، ۱۳۸۷: ۴۳) بعد ظهور العقائد الماركســية في أواخر القرن التاسـع عشـر الميلادي وانتشـارها الواسـع في الأوسـاط الأروبية، هيمنت تلك العقائد سيطرتها على قسم أعظم من النظريات الاجتماعية. «اعتقد ماركس بأن الاقتصاد يعدّ بنية تحتية وظيفته إنشـاء السـياسـة والحكومة والدسـتور والفن والأدب.» (عسـكري، ۱۳۸۶: ۴۷) فاعتقد النقد الماركسي بوجود ارتباط واضح بين الاقتصاد (البنية التحتية) والأدب (البنية الفوقية). «كان للمفكر المادي الماركســي تأثير عظيم في تطور المنهج الاجتماعي وإكسـابه إطاراً منهجياً وشـكلاً فكرياً ناضـجاً.» (منتظري، ۱۳۹۱: ۱۶۳) روّاد هذا النقد اعتقدوا بأن المهم في نقد النصــوص الأدبية هو تقييم ارتباط هذه النصــوص مع الأحداث الاجتماعية والاقتصــادية وانعكاس هذه الأحداث وكيفيته في تلك النصـوص. «تدور الفكرة الماركسـية حول محور الأسـاس الاقتصـادي للمجتمع (البنية التحتية) الذي يحدد طبيعة الأيديولجيا والمؤسـسـات والممارسـات (كالأدب) التي تشــكل البنية الفوقية لذلك المجتمع، وبما أنّ الأدب بنية فوقية تعكس الواقع الاجتماعي والاقتصادي للبنية التحتية، إذن لابد من وجود علاقة حتمية مباشرة بين القاعدة والبنية الفوقية، فأي تغير في قوى الإنتاج المادية، لابدّ من أن يحدث تغييرا في العلاقات والنظم الفكرية.» (تومي، ۲۰۱۴: ۲۳۵)

فعلى هذا المعيار، النصــوص الأدبية العظيمة التي ما تطرقت إلى مثل هذه الموضــوعات تدرجُ في الدرجة الثانية من الأصــالة والاعتبار في الفكرة الماركســية. «فسـوسـيولوجيا الأدب... تتناول المقومات النفسـية للأديب، التي ترتبط ارتباطاً جذرياً بمقوماته العرقية والظروف الزمانيه والمكانية للبيئة التي نشــأ فيها وترعرع والبيئة العائلية والوســط الاجتماعي.» (اســكاربيت، ۱۹۹۹: ۱۰) بعد هؤلاء النقاد الذين تعدُّ

نظرياتهم النقدية وإنتاجاتهم العلمية، الإرهاصات الأولى للنقد الإجتماعي، ظهر ناقدان بارزان يلمع نجمهما في سماء النقد الإجتماعي، فحاولا أن يأتيا بجديد في هذا الميدان، فتقدم النقد الإجتماعي تحت ظل نظرياتهما خطوة بل خطوات إلى الأمام، ألا وهما جورج لوكاتش وتلميذه لوسيان غولدمان.

غولدمان ونظرية البنيوية التكوينية

يعدّ لوسيان غولدمان، جنبا إلى جنب جورج لوكاتش، أحد أبرز منظّري النقد الاجتماعي. «ولد غولدمان في بوخارست عام ١٩١٣م، وقد حصل على الدكتوراه في الأدب الفرنسي في جامعة السوربون عام ١٩٥٦م من خلال أطروحته "الإله الخفي" التي أثار فيها لأول مرة مسألة تكافؤ الوضع الاجتماعي والاقتصادي مع الأعمال الأدبية.» (فاضلی،١٣٧٤: ١١٩) اتبع غولدمان نظرية لوكاتش في النقد الاجتماعي وقدّم نظرية أطلق عليها "البنيوية التكوينية"، «البنيوية التكوينية هي دراسة البنية الاجتماعية لفترة يتم تناولها في محتوى النص الأدبي. لذلك، فإنّ الغرض الرئيسي منها هو العثور على روابط في نص أدبي أو فلسفي، والتعرّف على الأيديولوجية السائدة على خلفية النص التاريخية. إن غولدمان على صدد تبيين كيفية انعكاس الموقف التاريخي لمجموعة أو طبقة اجتماعية في الأدب من خلال أيديولوجية لتلك الطبقة.» (علايی، ١٣٨٠: ٢٧) طرح غولدمان مفهوم البنية الدلالية لأول مرة من خلال نظرياته وأولى اهتماماً خاصاً للبنى الدلالية ووجهات النظر الأيديولوجية، والبنى الفكرية والثقافية، وكذا البنى التحتية الاجتماعية في نظريته التي كانت استمراراً لنظرية لوكاش، ولكن في نطاق أوسع. «من وجهة نظر غولدمان، إنّ البنية الدلالية هي عالم عمل أدبي تم إنشاؤه للاستجابة لحالة معينة والتي يحققها الباحث ببصيرته.» (طلوعی ورضايی: ١٣٨٦: ۶)

يعتقد غولدمان صراحة بأن عامل الإبداعات الثقافية ليس فرداً بوحده بل وجهة

نظر عام لمجموعة من الناس، ويكون الكاتب واحداً منها كفرد، ويعطي لوجهة نظر تلك المجموعة شـكلاً فنياً خاصـاً. (غولدمان، ۱۳۷۱: ۳۲۱) وفقاً لـنظريته، الأيديولوجية عبارة عن التفكير السـائد على فترة زمنية محددة لشـعب ما. يعتقد غولدمان في منهجه البنيوية التكوينية بالجهات الفاعلة الجماعية (الفاعل الجمعي) ولا الفاعل الفردي؛ «يعتبر غولدمان أن الفاعل الجماعي أو الفاعل الجمعي هو المبدع الحقيقي للمنتجات الثقافية، وخاصـةً الأعمال الأدبية، وهكذا، في الدراسـات الاجتماعية، يتمّ تقديم العناصـر ذات المعنى كظواهر اجتماعية بحتة ولافردية.» (فراروتی، ۱۳۷۷: ۲۲۴) بعبارة أخرى إنه يرى أننا في الأبحاث الأدبية لا نواجه مع شخص أو الكاتب نفسه كفاعل، بل إننا إزاء نظرة شمولية أو أيديولوجية، والكاتب يعتبر كممثل لإظهار ذلك التفكير والأيديولوجية. «النص الأدبي عند غولدمان بنية متولدة عن بنية أشـمل وأعمق، هي البنية الاجتماعية للجماعة أو الطبقة التي يمثلها المبدع، ولهذا لابد من دراسـة العمل الأدبي للكشـف عن مدى تجسـيده للبنية الفكرية للطبقة الاجتماعية التي يعبر عنها.» (تومي، ۲۰۱۴: ۲۴۰) وفي هذه النظرية نواجه أيضـاً سـياقات دلالية، بمعنى أننا في العمل الأدبي نواجه سـياقاً يشـير بطريقة ما إلى أيديولوجية معينة ورؤية فئوية يدافع عنها الكاتب أيضاً. هو أطلق عنوان "الديالكتيك" أو "الجدلية" على العلاقة التي تشـكلت على أسـاس التأثير والتأثر بين الإنسـان والعالم، وأخذ هذا المعنى من معتقدات ماركس الاجتماعية.

تستند نظرية غولدمان على فرضية أن أي سلوك بشري هو محاولة للقيام باستجابة دلالية لموقف معين، وهذا هو سبب وجود رغبة في تحقيق التوازن بين الفاعل والعالم، وللقيام بذلك يقدم غولدمان مرحلتين في دراسـة الأعمال الأدبية؛ المرحلة الأولى تسـمى "الاسـتلام" والمرحلة الثانية هي "الشـرح". في المرحلة الأولى يجب على الناقد أن يحاول فهم النص الأدبي ضمن بنيته الداخلية، وفي المرحلة الثانية عليه أن يحاول شرح النص الأدبي في إطار بنى سياسية واجتماعية وتاريخية واقتصادية للمجتمع.

ملخص رواية الحريق

كتب محمد ديب روايته هذه متأثرا بالبيئة الجزائرية السياسية والاجتماعية قبيل الحرب العالمية الثانية، المرحلة التي تعاني فيها الجزائر من الاستعمار الفرانسى المباشر والأمراض والآفات الاجتماعية والفقر الثقافي المدقع. تتناول هذه الرواية القضايا التي تحكم المجتمع الجزائري من الواقع المرير للاستعمار فيها، والفقر الاقتصادي والثقافي للشعب، والصراع بين الأمة الجزائرية المظلومة وبين المحتلين الفرنسيين، والاختلاف بين الحياة الحضرية والحياة الريفية، والاختلافات الطبقية، والوضع المؤسف لحياة المزارعين في الجزائر، والأمراض الاجتماعية، واستقطاب المجتمع وكذلك الفجوة العميقة بين الأغنياء والفقراء من جهة، وبين السكان الرئيسيين للجزائر والفرنسيين المهاجرين فيه من جهة أخرى. البطل الاشكالي في الرواية شاب اسمه عمر؛ في صيف عام ١٩٢٩م، سافر عمر مع جارته زهور إلى منطقة بني بوبلان التي تبعد حوالي ثلاثة كيلومترات عن تلمسان. هو يقصد الذهاب إلى منزل أخته التي تعيش هناك لقضاء الصيف في العمل في المزارع. هذا السفر يحدث تحولاً كبيراً في حياة عمر، إذ إنه في تلك المنطقة يتعرف على فلاحين من مثل بن رباح وباعدوش وقره علي وبن‌أيوب. هذا التعارف يؤدي إلى حدوث قضايا هامة في حياته، الأمر الذي يعرف في نظرية غولدمان تحت عنوان الوعي الممكن. في بداية وصوله إلى القرية، يلتقي بأطفال من نفس العمر الذين يعيشون في فقر مدقع، وفي التالي يصادف رجلاً يدعى كومندار الذي قد فقد رجليه في الحرب. يتحدث كومندار مع عمر عن حقائقَ تحكم الجزائر، وهذا الأمر يغير نظرة عمر إلى ما يجري في بلاده؛ بعد مضي الأيام يشاهد عمر اجتماع الفلاحين ويسمع حواراتهم حول الحديث عن الاضطهاد الفرنسي، ونهب ممتلكات المزارعين، وتحويل الفلاحين إلى عبيد للفرنسيين، وما إلى ذلك. مثل هذه الأمور في الرواية تتشكل البنى التحتية التي تدرسها البنيوية التكوينية في مرحلة الاستلام كي تصل إلى آثارها في مرحلة الشرح. ثم يجيء شخص ثوري من

تلمسـان يُدعى حميد سـراج، هو يدعو الفلاحين إلى الإضـراب من أجل وقف الظلم الذي تعرضـوا له؛ يعنى الانتقال من الوعي الحالي إلى الوعي الممكن وفقاً لنظرية البنيوية التكوينية؛ سـرعان ما يتطلع المسـتوطنون ورجال الدولة الفرنسـيين على هذه الاحتجاجات ويقومون بسـجن حميد سـراج وتعذيبه، ويتعرض المزارعون للتعذيب والسجن أيضا. يحاول الفرنسيون كسر الإضراب بطرق مختلفة مثل الوعد بأجور أعلى وظروف عمل أفضـل أو التهديد بطرد الفلاحين من المزارع... ولكن مسـاعيهم باءت بالفشـل بعد الفشـل، وتضـرم نيران الإضـرابات والإحتجاجات في كل ناحية؛ ولكن في ليلة سـوداء يحدث حادث يغيّر مسـار الأمور، فتضـرم النيران فجأة في أكواخ الفلاحين الذين قد شاركوا في الإضراب، وتسبب هذا الحريق يأساً شاملاً وخوفاً مظلماً وتشريداً بين الفلاحين، ولكن بقيت نار الإحتجاج في القلوب مشتعلةً كالنار تحت الرماد.

النقد السوسيولوجي لرواية الحريق

بالنظر إلى أن الرواية، من ناحية هي الشـكل الأدبي الأكثر شـهرة وأهمية، ومن ناحية أخرى هي صـورة موضـوعية لمنظور الكاتب وإدراكه للحياة التي صـوّر الوضـع الفكري والثقافي فيها آنذاك، إذن فإن هـذا النوع الأدبي يعدّ من أهم الوثائق لعلم اجتماع الأدب. (أدهمى، ۱۳۹۰: ۴۳) إن غولدمان باتباعه طريقة لوكاتش، واستناداً على نظرية النقد الماركسـي، قام بدراسـة الأعمال الأدبية واسـتقصـاءها في مرحلتي "الاسـتلام "و"الشـرح" في إطار النقد الاجتماعي، على هذا الأسـاس قام البحث الحاضـر بدراسـة رواية الحريق على ضـوء نظرية البنيوية التكوينية وتحليلها في هاتين المرحلتين وفقاً لما جاء به غولدمان في هذه النظرية.

المرحلة الأولى: الاستلام

يعتقد غولدمان بفهم النص الأدبي قبل الولوج في نقده اعتقاداً تاماً راسـخاً ويعدّ كل عمـل نقـدي في النص قبـل فهمـه وفهم الروابط الحـاكمـة عليـه والإطـار الفني لـه،

محكوماً بالفشل. «قبل البحث عن الروابط في النص الأدبي والطبقات الاجتماعية في فترة كتابة النص، من الواجب أن يُفهم النص ومعناه الداخلي، كما يكون من الضروري التقييم الجمالي للنص كعالَم محدّد من الناس والأشـياء التي أنشـأها الكاتب الذي يحدثنا من خلال النص.» (غولدمان، ۱۳۷۶: ۲۵۳) فبناءً على هذه النظرية، في هذه المرحلة تدرس موضـوع الرواية وشـخصـياتها، مدى وعيهم بقضـايا المجتمع، وبشـكل عام التماسك الداخلي للنص الأدبي.

الف. محتوى رواية الحريق والسياقات الدلاليّة فيها

هناك ارتباط وثيق بين محتوى الرواية والسـياقات الدلالية فيها، إذ أنَّ هذه السـياقات تتشـكل وتتكوّن في بطن المحتوى ومن ثمّ تتولد. «المحتوى هو الفكرة الرئيسـية والمهيمنة في أي نص، والذي يكون بمثابة خيط يتمّ رسـمه أثناء النص ويربط مواقف القصـة بعضـها ببعض؛ بعبارة أخرى، المحتوى هو الفكر السـائد الذي يطبّقه الكاتب على القصـة؛ ولهذا يقال: أنّ محتوى كل نص يعكس الاتجاه الفكري والإدراكي لكاتبه.» (ميرصـادقي، ۱۳۸۰: ۱۷۴) وبناءً على ذلك، فإنّ المحتوى هو المعنى الأسـاسـي، والرسـالة لا تنتقل من خلال لغات الشـخصـيات بل تنقلها أفعال القصـة ومحتواها. (جزيني، ۱۳۸۷: ۳۹) يتناول محتوى رواية الحريق الجوانب السـياسـية والاجتماعية والثقافية السائدة في المجتمع الجزائري في فترة زمنية معينة، وفي الواقع محتواها الرئيسي هو أيديولوجية كاتب الرواية.

إن غولدمان يسـتخدم مفهوم البنية الدلالية إضـافة إلى توصـيف الوحدة العضـوية لمكوّنات النص والعلاقة المتبادلة بينها، لبنية النص الداخلية حيث تضـمن أيديولوجية انعكست فيها أيضاً، أي كيف صارت أيديولوجية طبقة معينة أو مجموعة اجتماعية في العمل الأدبي عنصـراً بنّاءً في العالم الخيالي للنص. «النقد الاجتماعي الأدبي يحاول من أجـل فحص العلاقـة بين النص الأدبي والمجتمع، بحيـث يُعنى تـأثير المجتمع وطبقاته الاجتماعية في نشـأة النص الأدبي من ناحية، ومن ناحية أخرى يدرس آراء

الكاتب الفكرية والإيديولوجية والاجتماعية والسياسية (كعضو في طبقة اجتماعية معينة ولا كعضو فردي في المجتمع) ودورها في إنشاء نص أدبي ما.» (كوثرى، ۱۳۷۹: ۱۶) في رواية الحريق، نواجه عالماً خيالياً تم إنشاؤه من قِبَل الكاتب، ولكن هذا العالم الذي يبدو خيالياً يتكوّن على صعيد الواقع، بعبارة أخرى إنه متجذر في الحقيقة التاريخية؛ هذا هو العالم الخيالي للرواية، والذي وفقاً لنظرية غولدمان في الروايات الاجتماعية يقوم على أيديولوجية مجموعة معينة.

أثناء قراءة رواية الحريق، يواجه القارئ عالماً أُسِّس بدقة على الهياكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للجزائر قبل بضع سنوات من اندلاع الحرب العالمية. بلد يعاني اضافة على الفقر الاقتصادي وعدم المساواة في توزيع الثروة من الاحتلال الفرنسي؛ الأمر الذي يشير إليها ديب في غير قليل من صفحات الرواية: «ووراءها، من بعيد، تقريباً على الحدود التي ترى من مزارع القمح الممتدة، كان حقل المستوطن الفرنسي ماركوس، وبيته العتيق الذي بناه جده، وظاهر هذا البيت المتشابه، وافريزه وفتحاته ولون آجره القديم الوردي الحائل، وسقفه القرميدي المغطي بطبقة من الطحلب، كان كل ذلك يبدو أنه هو الوجه الحقيقي للجزائر، ولكنه ليس إلا السطح الظاهر... وللجزائر مليون وجه آخر.» (ديب، ۱۹۸۵: ۱۷۶) وهنا يدخل محمد ديب في الرواية باعتباره الراوي الغائب والعالم الكل، فبعد وصف ما رآه عمر من المزارع والمنازل الفرنسية يقول: «إن هذا ليس واقع الجزائر، وأن للجزائر ملايين وجه آخر من البؤس والفقر والاستعمار و...، وهذا على أساس نظرية البنيوية التكوينية، هو عالم الرواية المتجذر في العالم الحقيقي.» (نفس المصدر) في مكان آخر، هكذا يتحدث محمد ديب مرة أخرى من خلال قراءة أفكار عمر، وهو طفل جزائري يبلغ من العمر أحد عشر عاماً: «وهذا هو بيت الفرنسيين، بيت المستعمرين الذين يملكون كل شيء، الأرض وبيادر الحصاد، والأشجار، والهواء، والرجال فوق ذلك كله، وكذلك الطيور، وربّما كانوا يملكونني أنا أيضاً.» (المصدر نفسه: ۱۷۷) الشيء المثير للاهتمام هو أنه في اللحظة

التي يغرق فيها عمر بين كل هذه الأفكار، فجأة يسقط أحد المزارعين الجزائريين من الحصادة، وينقسم إلى قطع تحت شفراتها. المالك الفرنسي بعد تهديد المزارعين الآخرين بعدم البوح بهذا الحادث، يصرخ بصوت عالٍ قائلاً إنني فقط سأتحدث إلى الشرطة للتأكّد من أنّ الرجل قد فعل ذلك بالخطأ ولعدم معرفته بالحصادة. بعد بضع دقائق، وبينما كانت الدماء لا تزال تتدفق من جسد المزارع، يعود الجميع إلى العمل، ويبقى جسد الرجل المقطوع على الأرض. لابد لنا الإشارة إلى أنه يوجد في كل مكان من الرواية، العديد من الحالات التي تشير إلى بنية الاجتماعية والسياسية الدلالية في الرواية، وهذا الأمر بدوره يؤكد على نقد الرواية بناءً على نظرية البنيوية التكوينية.

ب. شخصيات الرواية

«ليس لبطل الرواية، خلافاً لبطل الملحمة، ماضٍ يعتمد عليه، ولا مستقبل مشرق يأمل فيه، ومن ثَمَّ فإن مثل هذه الشخصية التي انفصلت عن "كلّ"ـــه وعن مجتمع بُني على قِيم نوعيّة، وانحصرت في مجتمع ذي قيم كمّية، تكون دائماً وحيداً منفرداً وتشارك في صراع داخلي وخارجي؛ وبما أن الكاتب كثيراً ما يتقمصّ دور تلك الشخصية، وينظر إلى العالم من وجهة نظرها، ومن نافذة عواطفها ومشاعرها، يخلق عملا أدبيا فذّاً. تقول فرجينيا وولف[1] - كاتبه انجليزيه (١٩٤١-١٨٨٢) تُعتبر من أوائل من استخدم طيار الوعى كطريقة للسرد- عن أهمية الشخصية في الرواية: أنا أعتقد أن كل الروايات تتعامل فقط مع الشخصية، وإن نوع القصة قد خُلق من أجل الحبكة ومن أجل رسم الشخصية.» (آلوت، ١٣٨٠: ٥٠٣) كما يعتقد جان بول سارتر[2] أنه لا يوجد فكرٌ أو نظرية في الرواية ما لم يتمّ التعبير عنها من خلال علاقات الشخصيات بعضها مع البعض. (سارتر، ١٣٧٠: ٩١ و٩٢). المهم في هذا البحث هو مدى علاقة شخصيات الرواية بالأحداث الاجتماعية ووقائع المجتمع وتشابكهم بها؛ تعتبر رواية

1. Adeline Virginia Woolf
2. Jean-Paul Sartre

الحريق من الروايات متعددة الشخصيات؛ بعبارة أخرى أننا في الرواية لا نواجه شخصيةً واحدةً تدور جميع أحداث الرواية حولها. في هذا الصـدد يجب الانتباه إلى أنَّ «بعض الشـخصـيات هي شـخصـيات موضـوعية لا تسـتخدم إلا لأجل التعبير عن محتوى القصة... وغالباً ما يظهر الكاتب كثيراً من رسائله ومجالات عديدة من قصته من خلال الشـخصـيات الفرعية في الصـراع بينها وبين الشـخصـية الرئيسـية، ويختبئ وراء هذه الشـخصـيات اختباءً حتى لا تتوجه الأنظار اليه.» (جزيني، ۱۳۷۸: ۳۹) فهو يسـتخدم قناعات مختلفة في هذه الرواية كي يبدي آراءه الاجتماعية والسـياسـية فيها وخاصـة قناع "عمر"، في رواية الحريق يمكن أن تعتبر شخصية "عمر" شخصيةً موضوعيةً؛ هو طفل يبلغ من العمر أحد عشـر عاماً، حاضـر في العديد من مشـاهد القصـة، لكن هذا الوجود لا يُعتبرُ كائناً مؤثراً، بل يكون شخصيةً محايدةً على حدٍ ما، وهي ليست مسألةً غريبةً بالنظر إلى عمره. تكمن أهمية شـخصـية عمر في حقيقة أن الكاتب يسـتخدمها للتعبير عن آرائه الأيديولوجية، فهو يعبّر عن مختلف الأشـياء من لسـانه؛ يتكلم أحياناً عن أشـياء بلسـان عمر، وأحياناً يعبّر عن أفكاره من خلال قراءة أفكار عمر، وفي بعض الحالات بعد توصـيف الحدث الذي شـهده عمر أو قد حدث له، يشـرح وجهة نظره كشخص ثالث وعالم كلي، وبالطبع بمساعدة شخصية عمر. من أهم شخصيات الرواية يمكن الإشـارة إلى: كومندار، بن أيوب، معمر الهادي، بادعدوش، حميد سـراج، وقره علي. الشـيء المثير للاهتمام هو عدم وجود شـخصـية أنثوية مؤثرة في الرواية، الأمر الذي من الضروري أن يدرس في مكانه.

يلعب بادعدوش وحميد سـراج دور ممثلي الثوريين كما يلعب قره علي دور ممثل الحكومة، وعلى الأقل يدعم الحكومة، ويعارض أي انتفاضـة وثورة ضـدها. يُعدُّ وجود هذه الشخصيات الموضوعية في رواية الحريق، التي تظهر بوضوح فيها، من السمات الرئيسـية للروايات الاجتماعية. فاسـتفاد ديب في سـبيل تقديم الشـخصـيات من المونولوج، والوصف، والصراع وما إلى ذلك من الطرق الفنية في كتابة الرواية وكل هذا

أتى به في طريقة فنية عزّزت ووطّدت الجوانب الأدبية في الرواية أيضاً.

ج. البطل الإشكالي، الوعي الفردي والاجتماعي

في الروايات الواقعية نواجه شخصيات تلتزم بالمبادئ والقيم الأخلاقية الحقيقية؛ يعتبر لوسيان غولدمان أي عمل يوافق مع الواقعية عملاً قيّماً، في هذا الصدد هو يسمّى شخصية بطل الروايات الاجتماعية بالشخصية الإشكالية: «نحن لا نستخدم مصطلح الشخصية الإشكالية بمعنى الفرد الذي يخلق المشكلات بل بمعنى الشخصية التي تواجهه حياتُها وقيمها بمشكلات لا تحلّ ولا يستطيع إدراكها بوضوح، وهذه هي السمة التي تفصل بطل الرواية عن بطل المأساة.» (غولدمان، ۱۳۷۱: ۲۶۰) من السمات البارزة للروايات الاجتماعية يمكن الإشارة إلى عدم رضاية البطل عن مستوى وعيه الحالي فيخطو واعياً أو غير واع تجاه الوعي الممكن، ويظهر هذا بوضوح في رواية الحريق إذ تكون الشخصيات في الرواية كلها ديناميكية إلى حدٍ ما، وتشارك في القضايا الاجتماعية والسياسية لمجتمعها. لدى هؤلاء الشخصيات وجهات نظرهم الخاصة حول قضايا المجتمع، يتحاورون ويتجادلون معاً وهذه المحادثات تؤدي أحياناً إلى صراعات لفظية وجسدية، ومن بينها يمكن الإشارة إلى الصراع بين سليمان وقره علي، وضرب قره من قِبل سليمان.

أجاد محمد ديب وصف شخصيات قصته كممثل لأيديولوجية قصَدها لهم (أي الوعي الحالي)؛ بالإضافة إلى ذلك فقد منح هذه الشخصيات حرية التصرف في إطار نفس أيديولوجية المجموعة، ويتبلور هذا أيضاً في التعبير عن الأفكار والآراء، والدفاع عن هذه الآراء، والجهود المبذولة لتحقيق معتقدات الشخصيات العامة والفئوية. أفضل شخصية يمكن الإشارة إليها في الرواية موضوعياً شخصية "بادعدوش"، فهو يدخل دائماً في المباحث السياسية والاجتماعية محاولاً إقناع الآخرين على الثورة ضد المستعمرين الفرنسيين، «آه... ليت واحداً فقط يعرف كيف يقص على الناس قصة الحياة الحزينة الشقية التي يعيشها الفلاحون... وليته بعد أن ينتهي من الكلام عن

الفلاحين المساكين، يتحدث عن حياة الأبهة التي يعيشها المستوطنون الفرنسيون...» (ديب، ١٩٥٨: ٣٤) وفي مكان آخر من الرواية يتكلم الرواي عن بادعدوش مباشـراً ويقول عنه: «كان بادعدوش... يكابد تلك النار التي تسـكن الصـدور. كانت الرغبة في القيام بعمل ما تثوي في أعماق خواطره وتوجه جميع أعماله على غير شـعور منه... أن في كل صـدر كلمة احتجاج، كلمة واحدة حية قوية.» (نفس المصـدر، ٦٠) على الرغم من أن شـخصـيات الرواية لن تخضـع في النهاية لتحول يؤدي إلى تغيير في طبقتهم الاجتماعية، إلا أنه تكون هناك تغييرات في مسـتوى وعيهم الحالي والممكن، الأمر الذي يؤدي في بعض الأحيان إلى توجهات غير محتملة لهم، وقد يحدث هذا على مستوى نقل المعلومات من مرحلة الوعي الحالي إلى الوعي المحتمل.

قد يلاحظ نقل المعلومات بشـكل خاص في شـخصـيات مثل بادعدوش وبن أيوب وقره علي، وعلى سـبيل المثال يتخلّى قره علي عن الدفاع الظاهري عن الحكومة بعد الصراع مع سليمان بينما هو كان شخصيةً موالية للحكومة وممثلةً لأيديولوجية الدفاع عنها، لكنه يواصـل علاقته بممثلي الحكومة سـرّياً. توجهات حميد سـراج وبن أيوب اللذين كانا معارضـين للحكومة ودعوا إلى الثورة وطرد المسـتعمرين الفرنسـيين من الجزائر تقع أيضا في إطار نقل المعلومات من الوعي الحالي إلى الوعي الممكن.

أخيراً، يجب القول بأنه على الرغم من أن شـخصـيات الرواية في إطار الأيديولوجية التي تحكم مجموعتهم الاجتماعية، تتخذ بعض الإجراءات، وتغير مسـتوى وعيها الحالي إلى الوعي المحتمل، لكننا في الرواية لا نواجه شخصيةً خضعت لتحول كامل في إطار وعيه وفئته الأيديولوجية، أو تخلت عن أيديولوجيتها السابقة لصالح أيديولوجية جديدة.

د. تحول شخصيات الرواية

تحول الشخصيات وتغيير مبادئهم الفكرية أو أيديولوجياتهم يُعدّ من القضايا الهامة في الدراسـة الاجتماعية للرواية، والذي قد تم تناوله بشـكل غير مباشـر إلى حدٍ ما في

المبحث السـابق، ولكن نظراً لأهميته في نقد غولدمان سـيعرض في هذا القسـم للتحليل والتوضـيح على وجه التحديد. الروايات الاجتماعية تكون مكتوبة وفقاً للأحداث التي حدثت أو يمكن أن تحدث في المجتمع، فإننا نرى فيها تحولاً منطقياً في الشـخصـيات والأبطال، وليس هذا طبيعياً في الروايات الاجتماعية فحسـب بل يتوقعه القارئ أيضاً.

على الرغم من أن محمد ديب لم يحدد زمان وقوع أحداث الرواية بالتحديد، إلا أن مسـار الأحداث يظهر أنها قد حدثت في فترة قصـيرة قبل بداية الحرب العالمية الثانية وفي غضـون أشـهر قليل من مغادرة عمر إلى قرية بني بويلان في العطلة؛ لكننا نواجه في شـخصـيات الرواية محاولات للانتقال من الوعي الحالي إلى الوعي الممكن، وكلمات الكاتب من وراء شـخصـية "عمر" تؤكد ذلك؛ فعمر الشـاب الذي ليس لديه أي هواية في بداية الرواية غير اللعب والتجوال في المزارع بعد مدة يشـارك الكلام مع الرجال ويدخل في صـلب المباحث السـياسـية والاجتماعية ويبدي رأيه فيها «كان على الصـبي أن يفهم هذه الأمور كلها، لذلك كان يفكر ويطيل التفكير، وهو مسـتلق على العشب يصغي إلى كلام كومندار الذي كان يتحدث عن حياة الفلاحين المقضي عليها بالهلاك.» (ديب، ۱۹۸۵: ۸۰) فهو يفكر وعليه أن يفكر في مثل هذه الأمور مع أنه صـبي؛ فإذا قبلنا عمر كممثل للجيل الحالي الجزائري فهذا التفكير يعني الانتقال من الوعي الحالي إلى الوعي الجماعي الممكن. في مجال طريقة تفكير الشـخصـيات وأيديولوجيتها، يجب القول بأن الشـخصـيات الرئيسـية طوال الرواية تبقى على نفس معتقداتهم الفكرية، ولا نرى تغييراً جوهرياً في طريقة تفكيرهم وأيديولوجيتهم، وهو أمر طبيعي بالطبع بسـبب الفاصـل الزمني القصـير الذي تقع فيه أحداث الرواية. بالنظر إلى ما حدث للشـخصـيات في الرواية، لا بد من القول بأن محمد ديب كان قادراً على اكتشـاف مسـتقبل محتمل لشـخصـياته حتى لا يجد القارئ تضـارباً بين ما حدث في الرواية، وبين ما يمكن أن يحدث في العالم الحقيقي ممّا يضـيف إلى القيمة الفنية

لعمله. في غضون ذلك، لا ينبغي إهمال جمال توصيفات محمد ديب الأدبية سواء في مجال الشخصيات وخصائصها الجسدية أو في وصف جمال الطبيعة والمكان الذي يعيش فيه أبناء بني بويلان، مما يثري الرواية جمالاً وتألقاً، ويمنع الجمهور من أن يتعب من قراءة رواية اجتماعية جافة، وفي هذا الصدد يمكن الإشارة إلى صفحات ۱۲۰، ۱۲۱و۱٤۹ من الرواية التي تكتنف أوصافاً جميلةً من الطبيعة، فيمكن للقارئ أن يراجعها إذا أراد ذلك.

المرحلة الثانية: الشرح

إن علم الاجتماع الأدبي أحد ميادين علم الاجتماع، ويقوم على أساس دراسة العمل الأدبي ومبدعه وطبقته الاجتماعية وقرّائه واتجاهاتهم، كما يهتم برصد طبيعة العلاقه بين مضمون العمل الأدبي ومجموع الوقائع الاجتماعية أو الثقافيه في مرحلة تاريخية محددة. (تومى، ۲۰۱۴: ۲۳۸) على حسب وجهة نظرية غولدمان، يتم دراسة الهيكل الاجتماعي والسياسي والاقتصادي للمجتمع، وشرحه ضمن بنية العمل الأدبي في مرحلة الشرح. في هذا الصدد، من الضروري معالجة قضايا مثل كافة المجالات والصعد التاريخية والسياسية والاجتماعية التي تشكلت فيه الرواية، الوعي السياسي والاجتماعي لأبطال الرواية ومسار تطور وعيهم واعتراضهم على الوضع الراهن، ومدى تلاءمهم مع واقعيات المجتمع، وعدة قضايا أخرى من هذا النوع.

الف. الصعيدان السياسي والاجتماعي للرواية

الأديب ليس راوياً ومصوراً للوضع الاجتماعي فحسب، بل هو يكون راويا وناقداً في آن واحد، وبالإضافة إلى إظهاره للوضع الاجتماعي والثقافي السائد في المجتمع، يعرب عن آرائه ومواقفه الفكرية والفلسفية تجاهه أيضاً. (أدهمى، ۱۳۹۰: ۴۳) قد كتب محمد ديب أحداث الرواية في السنوات التي سبقت الحرب العالمية الثانية حتى بداية الحرب بحيث تتزامن نهاية أحداث رواية الحريق مع بداية الحرب بالضبط، وهذا له تأثيرات عديدة على أحداث الرواية أيضاً. حسب الوثائق التاريخية، عانت الجزائر من مشاكل

كثيرة في السنوات التي سبقت الحرب العالمية الثانية، من أهمها: احتلال المستعمرين الفرنسيين للبلاد، نهب ثروات البلاد من قبلهم، سيطرة الاستعمار الفرنسي على الأراضي الزراعية الجزائرية والفقر المدقع للجزائريين. «بدأت فرنسا غزو الجزائر على ذريعة الإهانة للقنصل الفرنسي، حتى أصبحت الجزائر جزءاً من فرنسا رسمياً مدة طويلة، فهم يحكمون الجزائر بقساوة كاملة... وأعلنوا الجزائر محافظة تابعة لفرنسا... خلال فترة الاحتلال، جاء عشرات الآلاف من الأشخاص من فرنسا وإسبانيا وإيطاليا ومالطا إلى الجزائر للعمل في المزارع.»(روحانى، ۱۳۹۰: ۳۲/۱)

بالنظر إلى الوضع الاجتماعي والسياسي في الجزائر والأحداث التاريخية التي حدثت أثناء استعمار البلاد، نواجه في الرواية ظروفاً تجعل التاريخ الحقيقي للجزائر في تلك الفترة ينبض بالحياة أمام القارئ. في أحد أجزاء الرواية يأتي محمد الديب مباشرة بعبارة «ولكننا الآن في عام ۱۹۳۹، في صيف عام ۱۹۳۹.» (الديب، ۱۹۸۵: ۱۱۸) وهو يشير إلى وقت أحداث الرواية، وهي قبل بضعة أشهر من بدء الحرب العالمية الثانية. ثم يمضي الكاتب في الحديث عن بعض معلومات عمر العلمية، وهو طفل يبلغ من العمر ۱۱ سنة، ومن المثير للاهتمام أن المزارعين الجزائريين يسمعونه يتحدث عن بعض القضايا العلمية مثل كيفية تشكل المطر، استقرار الشمس ودوران الأرض ونحو ذلك، ويتهمونه بالكفر والزندقة. (نفس المصدر: ۱۱۸) يشير محمد ديب في الواقع من خلال هذا النص إلى الفقر الثقافي والضعف العلمي للشعب الجزائري في تلك السنوات، ويؤكد بطريقة ما على تدمير الثقافة الإسلامية الجزائرية من قبل الفرنسيين.

بداية فكرة الاستقلال والحرية، والنضال ضد الاستعمار الفرنسي تعدُّ من الملامح الاجتماعية والسياسية الأخرى للجزائر في فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية. مع أن هذه الفكرة كانت موجودةً منذ بداية احتلال الجزائر وفقاً للوثائق التاريخية إلا أن تكثيفها وتحولها إلى فكر ثوري قد تشكل في السنوات التي سبقت اندلاع الحرب

العالمية الثانية. كما سبقنا القول عن النظرية البنيوية التكوينية، إن الكاتب في الواقع يعدُّ ممثلاً لأيديولوجية فكرية، وفي عمله الأدبي يحاول إثبات تلك الأيديولوجية، والتأكيد عليها. محمد ديب في رواية الحريق في الواقع يكون ممثلاً للشعب الجزائري وأيديولوجية الاستقلال، وقد اختار عمر بمثابة شخصية تنقل صوت الكاتب إلى الجمهور. إنّ عمر كطفل في الحادي عشر من عمره يعتبرُ فاعلاً جمعياً وممثلاً للجيل الجديد من الجزائريين؛ الجيل الذي يبدو أكثر وعياً من الجيل السابق، وقد تكوّنت في ذهنه شرارات من الحرية: « ودمدم يردد لنفسه وحدها تلك الفكرة التي تلحّ عليه... من ذا يحرّرك يا الجزائر؟ إن شعبك يمشي في الطرقات يبحث عنك.» (المصدر نفسه: ۱۳۵) ويواصل الحديث عن الأوضاع الاجتماعية للجزائر واستعمار البلاد من قبل الفرنسيين والاضطهاد الذي يلحقونه بالشعب: «... تمتد أمامك ههنا على مدى البصر، ومن مسافة إلى مسافة، يظهر كوخ بائس من أكواخ الفلاحين، هذه الأكواخ كلها متشابهة، يلوح لك فيها شيء من الحزن يلاحقك بغير انقطاع... ولكن الاستعمار يجرح، عيونه خائفة لا سبيل إلى خلاصها من هذه القسوة، ذلك أن المستعمر المستوطن يرى أن عمل الفلاح من حقه تماماً، بل إنه يريد أن يكون الناس أنفسهم له...» (المصدر نفسه: ۱۳۶) في الواقع، حاول محمد ديب أن يصف – من وجهة نظر أبطال الرواية – الصعيدين السياسي والاجتماعي للرواية، والذي يوافق تماماً مع الظروف الاجتماعية والسياسية للجزائر في نفس الفترة، وهذا يعدّ من خصائص الروايات الاجتماعية أيضاً، إذ أن الكاتب، خلافاً للروايات غير الواقعية، يحاول إعادة بناء الصعيد الحقيقي للمجتمع في نصه والتعبير عن أيديولوجية مجموعته باستخدام الفاعل الجمعي ويمكن الوقوف على أكثر نماذج منها في الصفحات ۱۳۸، ۱٤۲، ۱۵۸، ۱۹۹ للرواية، ففي مشهدٍ من الرواية، يلتقط بن أيوب "أحد الشخصيات الثورية في القرية" حفنةً من التراب، وهو يعرضها للآخرين قائلاً: «سيأتي وقت يحاسبنا فيه أولادنا حساباً عسيراً، سوف يلعنوننا، إني لأنظر إلى المستقبل فأرى أحفادي غاضبين حانقين

يصــبّون على أجدادهم اللعنات...إذا تركتم أرضــكم، فإن أولادكم، وأحفادكم، وأولاد أحفادكم، إلى أخر جيل من أجيال ذرياتكم، سوف يحاسبونكم حساباً عسيراً. إذا تركتم أرضــكم فلن تكونوا جديرين بهم، ولن تكونوا جديرين بهذه البلاد، ولن تكونوا جديرين بالمستقبل.» (المصدر نفسه: ۱۵۱)

الســمة الاجتماعية الأخيرة في الرواية تتبلور في تورط فرنســا في الحرب العالمية الثانية، وإجبار الرجال الجزائريين على القتال في فرنسا، والدفاع عن فرنسا ضد غزوات ألمانيا النازية؛ هنا أيضــاً يعبر محمد ديب عن نظرته الأيديولوجية على صــعيد الرواية: «الحرب؟ ما شأننا نحن بها؟ إنها تنشب في بلاد بعيدة، في فرنسا.. ومن يدري إلى أين تمتد.. إننا نعني بأمورنا، نزرع خضـرنا، فما صـلتنا بعد ذلك؟» (المصـدر نفسـه: ۲۰۰). كما يتضح من هذه الأمثلة، حاول محمد ديب في روايته إعادة بناء الصعيد الاجتماعي والســياســي للجزائر عام ۱۹۳۹م بنفس الطريقة في روايته، وفي هذا الصــدد يوظّف أبطالاً إشــكاليةً مثل عمر، حميد ســراج، بادعدوش وقره علي و... وإلى جانب ذلك، وعلى حســب أيديولوجيته الجماعية، يحاول أن يطلع الشــعب الجزائري على الظروف الاســتعمارية وأن يطوّر وعيهم الحالي نحو الوعي المحتمل، وكما مر بنا ســابقاً، هذا الأمر يعد من خصــائص الروايات الاجتماعية التي حظيت باهتمام خاص في نظرية البنيوية التكوينية.

ب. انعكاس السياقات الدلالية للرواية في المجتمع

العلاقة المتبادلة بين المجتمع وبين الســياقات الدلالية للرواية تعد ميزة أخرى من ميزات الروايات الاجتماعية التي يُعتنى بها في نظرية غولدمان البنيوية. إن ما يقصــده الباحث في المرحلة السابقة هو دراسة السياق التاريخي والسياسي والاجتماعي للرواية، ولكن في هذه المرحلة يدرس الباحث الربط الثنائي بين المجتمع وأحداث الرواية، فالمرحلة الســابقة يوفر للباحث الأرضــيّة المناســبة ولوجاً في هذا الإطار. وفقاً لنظرية غولدمان، إنّ مُبدع العمل الأدبي يعدُّ ممثلاً لأيديولوجية خاصــة؛ فهو يســير في طريق

الواقعية الاجتماعية، ويبعد نفسه عن الواقعية الرومانسية كل البعد، لأنّه يعبّر عن المجتمع في عمله الأدبي في نفس الأجواء التي يعيش فيها المجتمع في عالمه الخارجي الحقيقي؛ فلا يرسم المجتمعَ كما يشاء وكما يأمل وفقاً للرومانسية الاجتماعية.

فمحمد ديب في رواية الحريق بذل قصارى جهده لتأسيس البيئة الاجتماعية والسياسية للجزائر على صعيدها التاريخي في الثلاثينيات(۱۹۳۰م) كما ورد في كتب التاريخ، ويبدو أنه كان ناجحاً في هذا المجال أيضاً وتمّ التعبير عنه بشكل أدبي جميل في صعيد الرواية. توجد أمثلة واضحة على ذلك في الصفحات ۱۷۰/۱۷۱/۱۸۲/۱۸۹/۲۰۲/۲۳۸/۲۵۵/۲۵۶ و۲۵۷ من الرواية، ولتجنب إطالة الخطاب نورد مثالاً على هذه التوجهات في الرواية: «قد تظن أنك حرٌ بشخصك، ولكن شعبك ليس حراً، وأنت إذن غير حرٍّ أيضاً، ذلك إنه لا وجود لك إلا في شعبك، هل في وسع ذراعي هذه أن تعيش بغير جسمي؟ أبداً، ومع ذلك قد نتوهم حين نرى حركتها أنها مستقلة، أو قد نتوهم أن هذه الأصابع التي تقبض على ما تريد القبض عليه، قد نتوهم إنها مستقلة، كذلك شأنك بين إخوانك... لماذا لا يتكلمون عن المستوطنيين الفرنسيين؟ كل ما تقولونه سليم حكيم، ولكن ما فائدة هذا كله؟ إنكم لم تقولوا حرفاً واحداً عن هؤلاء الذين نشقى بسببهم، إنهم هم مصدر بلائنا كله، فإذا تحدّثتم عن الشقاء الذي نعانيه دون أن تقولوا شيئاً عن المسؤلين عنه فأنتم تتعبون ألسنتكم سدى، نحن أناس حزانى، هذا كلام صحيح، وأنا أقوله لنفسي، وأقلبه في رأسي، وذلك لأننا نفكر في شقائنا ولا نفكر في مصدره.» (ديب، ۱۹۸۵: ۱۹۰و۱۹۱)

فالطريقة التي يتحدث بها محمد ديب عن البيئة الجزائرية، كيفية معاملة المستوطنين الفرنسيين في هذا البلد مع الجزائريين، بيان اشمئزاز الشعب الجزائري منهم ومحاولتهم للإضراب، الثورة وتحقيق الحرية، الفقر المدقع للجزائريين، الفقر الثقافي والبُعد عن العلم، وجود المفاهيم الخاطئة وما شابهها، هذه كلها إضافةً إلى ما

قيل في مرحلة الاســتلام عن أبطال الرواية، ومدى وعيهم ومحاولتهم تطوير وعيهم الحالي إلى الوعي الممكن، كل هذا يؤكّد ما وصـل اليه البحث فى هذا الصـدد. وأيضـاً يؤكد على ذلك وجود شخصيات ثورية مثل بادعدوش، حميد سراج، كومندار، بن أيوب وسـليمان من جهة، وشـخصـية قره علي من جهة أخرى. يجب أن نضـيف إلى هؤلاء، شـخصـية عمر التي تمثل من جهة، الجيل الجديد من الجزائريين الذين هم أكثر وعياً بأوضـاعهم السـياسـية والاجتماعية بالنسـبة إلى الجيل السـابق، وهي بطريقةٍ ما في مرحلة الاستعداد لبدء الثورة، ومن جهة أخرى فهي تعد بمثابة قناع يلبسه محمد ديب، وينقل من خلاله آرائه الأيديولوجية في الرواية للشعب الجزائري.

ج. الاحتجاج على الوضع الراهن

صرخة الاحتجاج على حالة المجتمع وما يجري فيها من الآفات الاجتماعية والسياسية وسـوء الأحوال الاقتصـادية تُعد من ميزات الروايات الاجتماعيـة. كـاتب الروايـة الاجتماعية، بما أنه يمثّل وجهة نظر أيديولوجية معينة وطبقة اجتماعية ذات معتقدات خاصـة، يسـمح لنفسـه بمواجهة الظروف التي تتعارض مع رغبات طبقته الاجتماعية، ويقوم بالاحتجاج عليها من خلال أبطال الرواية.

يتضـح هذا الأمر في رواية الحريق بوضـوح، هناك بعض الأمثلة في الصـفحات السـابقة من هذه المقالة التي تحتوي بالصـراحة على الصـوت الخفي أو العلني للاحتجاج الذي عبّر عنه الأبطال ضـد الوضـع السـائد في الجزائر؛ في جزء من الرواية يشـير محمد ديب إلى اضـطهاد الفرنسـيين، ويتحدث بلسـان "كومندار" قائلاً: «أينما توجهوا صفعهم "القانون"، وهم دائماً مذنبون في نظر القانون، لوائح القانون تحاصرهم من كل جهة، وتعترضـهم في كل مناسـبة،...القانون يحرم عليهم امتلاك أراضـيهم ...ثم قالوا للفلاحين: من كانت له شـكوى، فليراجع المحاكم... ولكن كيف نلجأ إلى القانون، والقانون هو الذي يجردنا من أملاكنا؟» (ديب، ۱۹۸۵: ۱۶۸) شـخصـيات الرواية كلها بطريقة ما تعترض على الوضـع الراهن. بعضـهم مثل كومندار، يصـرّح بهذا

الاحتجاج، والبعض مثل حميد سـراج ينظّم ثورات وإضـرابات، والذي يجدر بالاهتمام هو أن صرخة الاحتجاج هذه يمكن سماعها حتى من معارضي الثورة والمدافعين عن الحكومة مثل قرة علي؛ هذا الاحتجاج في تاريخ الجزائر هو في الواقع، نقطة انطلاق لسـلسـلة من الاحتجاجات التي أدت في النهاية إلى اسـتقلال الجزائر وتحريرها من الحكم الاسـتعماري الفرنسـي وهذا هو الأمر الذي نقرأه في نظرية البنيوية التكوينية تحت عنوان تأثير البنى التحتية للمجتمع في النبى الفوقية من جهة وتأثير هذه الثانية في الأولى بعد تشكيلها من جهة أخرى.

النتائج

اختص هذا المقال بدراسـة رواية الحريق لمحمد ديب على ضـوء النظرية البنيوية التكوينية للوسيان غولدمان. في هذا الصدد يمكن القول وبعد قراءه الرواية بأن الكاتب اسـتطاع أن يضـع أسـس علاقة عميقة متشـابكة ذات اتجاهين بين العالم الاجتماعي للرواية وبين أبطالها الذين هم في الواقع ممثلو الشعب الجزائري، وأصبحت هذه الأمر لبنة بناء العالم الخيالي للرواية. فبعد دراسة الرواية في مرحلتي الاستلام والشرح على ضوء هذه النظرية يمكن تلخيص النتايج فيما يلي:

١. تطرق محمدديب في رواية الحريق إلى الجوانب السـياسـية والإجتماعية للمجتمع الجزائري في فترة زمن احتلال الجزائر على يد الفرنسـيين وهذا الأمر مهّد الأرضية لدراسة الرواية على أساس نظرية البنيوية التكوينية لغولدمان.

٢. حاول محمد ديب في رواية الحريق أن يخلق عالماً خيالياً تجري أحداث الرواية فيه ولكن هذا العالم تمّ بناءه وفقاً للظروف السياسية والاجتماعية الاقصتادية الجزائرية في الفترة التي تحدث الرواية فيها وهذا الأمر يسـمح للمؤلف بفرض وجهة نظره الأيديوليجية على الرواية.

٣. يستخدم محمد ديب قناع شخصيات الرواية وخاصة قناع شخصية عمر كي

يبدي عن طريقه آراءه وأيديولجيته الخاصـــة به، فمعظم شـــخصـــيات الرواية تعدّ شخصيات رمزية وممثلة لعقيدة أو فئة خاصة وتحاول في سبيل الوصول من الوعي الحالي إلى الوعي الممكن ونرى هذا الأمر جلياً في شـــخصـــيات مثل بادعدوش وبن أيوب وقرة علي وكومندار ولسيمان وغيرهم ومن الغريب عدم وجود شخصية مؤثرة من النساء في الرواية.

٤. مع أننا نرى بعض محاولات جادة من قبل الشـخصـيات للتحول أو ما نسـميه السير من الوعي الحالي إلى الوعي الممكن، ولكن وبسبب الفاصل الزمني القصير الذي يقع فيه أحداث الرواية، لا نواجه تحولاً جذرياً في وعي الشـــخصـــيات، ولكن ما يحدث في الرواية وبالتحديد في شخصيات الرواية وخاصة عمر الذي يعد ممثلاً من الجيل الجديد الجزائري، يبشّـــر بتغيير مبارك في الوعي الجزائري حيال المســـتعمر والحرية والوطن.

٥. في رواية الحريق، نواجه عالماً خيالياً تم إنشـــاؤه من قِبَل الكاتب، ولكنه تكوّن وفق الأحداث الاجتماعية والســـياســـية التي حدثت على صـــعيد الواقع في المجتمع الجزائري وفي نفس الزمن الذي يحدث فيه أحداث الرواية، بعبارة أخرى إنه متجذر في الحقيقة التاريخية؛ أثناء قراءة رواية الحريق، يواجه القارئ عالماً أُســـس بدقة على الهياكل الاجتماعية والاقتصـادية والسـياسـية للجزائر قبل بضـع سـنوات من اندلاع الحرب العالمية الثانية؛ وهذه الســـمات الظاهرة في الرواية تعدُّ من أهم المكونات الاجتماعية والثقافية فيها وفقا لنظرية البنوية التكوينية.

٦. نشـــاهد في الرواية أبطالاً يمكن عد كل واحد منها ممثلاً لفئة خاصـــة أو لرؤية فكرية أو أيدلولوجية محددة. في هذا الإطار يلعب بادعدوش وحميد ســـراج دور ممثلي الثوريين كما يلعب قره علي دور ممثل الحكومة، وعلى الأقل يدعم الحكومة، ويعارض أي انتفاضـــة وثورة ضـــدها، كما يعدُّ عمر ممثلاً للجيل الجديد الجزائري والكومندار الجيل القديم الثائر الذي يلعب دور المرشـــد العالم للجيل الجديد؛ وهذه الظاهرة في

الرواية ينطبق على البطل الإشـكالي وكيفية حضـوره في العمل الأدبي وفقاً لنظرية البنيوية التكوينية.

۷. نرى في رواية الحريق انعكاسـاً واسـعاً للبنى الدلالية الموجودة في المجتمع، ونواجه فيها صرخة احتجاج تنبعث من أعماق وجود أبطال الرواية، وتتجلى في إضراب المزارعين على مسـتوى البلاد، هذا الاحتجاج في تاريخ الجزائر هو في الواقع، نقطة انطلاق لسلسلة من الاحتجاجات التي أدت في النهاية إلى استقلال الجزائر وتحريرها من الحكم الاستعماري الفرنسي.

۸. من العوامل التي تسلط الضوء على الجوانب الاجتماعية لرواية الحريق، وتضع هذه الرواية في بوتقة النقد ضـمن إطار نظرية البنيوية التكوينية يمكن الإشـارة إلى: وجود بنى دلالية اجتماعية وسياسية، وجود أبطال إشكالية وجماعية في الرواية، جهود أبطال الرواية لتحويل وعيهم الحالي إلى الوعي الممكن، صرخة الاحتجاج السائدة في الرواية، وأخيراً جهود الشخصيات لتغيير الأوضاع وتحقيق الاستقلال والحرية.

وفي النهاية لابد من القول بأنّه رغم محتوى الرواية الاجتماعي الذي يكون منطبقا على الواقعية الجزائرية في الثلاثينيات، اسـتطاع محمد ديب أن يخلق عملاً ممتعاً لا يجعل الجمهور يتعب ولايملّ من قرائته إذ إنه إضافة على ما سبق القول فيه، استخدم المحسنات الأدبية، ولا سيّما التوصيفات الخلابة والمثيرة للاهتمام طوال الرواية مما يجعلها عملا أدبيا يجعل القارئ أن لا يكف عن قرائته قبل إتمامه.

الملحقات

محمد ديب: ولد محمد ديب (۱۹۲۰- ۲۰۰۳)، الكاتب والروائي الجزائري المعاصر، فى مدينة تلمسـان غرب الجزائر، تلقى تعليمه الابتدائي بالمدرسـة الفرنسـية، عمل مترجما خلال الحرب العالمية الثانية ضـمن جيوش الحلفاء، تنوعت أعماله مابين الرواية والشـعر والتأملات ومن أهم رواياته يمكن الإشـارة إلى الحريق، النول، ثلاثية

الجزائر، ثلاثية الشمال والدار الكبيرة. حصل على عدة جوائز أهمها جائزة الفرانكفورتية عام ١٩٩٤م.

المصادر

- أبوشقراء، محيي الدين (لاتا) **مدخل إلى سوسيولوجيا الأدب العربي**، الطبعة الأولى، بيروت: المركز الثقافي العربي.
- آلوت، میریام (۱۳۸۰ش) **رمان به روایت رمان نویسان**. ترجمه: علی محمد حق‌شناس. چاپ دوم، تهران: مرکز.
- ادهمی، جمال (۱۳۹۰ش) **نقد جامعه شناختی رمان سفر محمود دولت آبادی**، فصلنامه علمی پژوهشی زبان وادبیات فارسی دانشگاه اسلامی سنندج، سال دوم، تابستان ۱۳۹۰، شماره ۷. صص ۵۴- ۳۵.
- اسکارپیت، روبیر (۱۹۹۹م) **سوسيولوجيا الأدب**، تعريب: آمال أنطوان عرموني، الطبعة الثالثة، بيروت، لبنان: عويدات للنشر والطباعة.
- امامی، نصرالله (۱۳۷۷ش) **مبانی وروش های نقد ادبی**،تهران: نشر دیبا.
- باسکادی، یون (۱۳۷۶ش) ساخت‌گرایی تکوینی و لوسین گلدمن، مترجم: محمد پوینده، تهران: چشمه.
- تومي، سعيدة (٢٠١٤م) **سوسيولوجيا الأدب: النشأة والتطور**، معارف (مجلة علمية محكمة)، قسم: الآداب واللغات، السنة الثامنة، العدد١٦، صص ٢٢٩- ٢٤٣.
- جزینی، محمد (۱۳۸۷ش) **پنج مقوله‌ی تئوری در ادبیات داستانی**، چاپ اول، تهران: نشر نحل.
- دستغیب، عبدالعلی(۱۳۷۸ش) **در آینه نقد**،تهران،حوزه هنری.
- ديب، محمد (١٩٨٥م) **الدار الكبيرة، الحريق، النول**، ترجمة: الدكتور سامي الدروبي، الطبعة الأولى، بيروت: دار الوحدة للطباعة والنشر.
- روحانی، حسن (۱۳۹۰) **آشنایی با کشورهای اسلامی**، جلد۱، چاپ۴، تهران: نشر مشعر.
- سارتر، ژان پل (۱۳۷۰ش) **ادبیات چیست؟** ترجمه: ابوالحسن نجفی ومصطفی رحیمی. چاپ هفتم، تهران: کتاب زمان.
- ستوده، هدایت الله(۱۳۷۸ش) **جامعه شناسی در ادبیات**، چاپ اول، تهران: انتشارات آوای نور.

- طلوعی وحید ورضایی محمد (۱۳۸۶ش) **ضرورت کاربست ساختارگرایی تکوینی در جامعه‌شناسی ادبیات** (ساختارگرایی تکوینی در مقام روش)»، مجله‌ی جامعه‌شناسی ایران. شماره‌ی ۳، دوره‌ی هشتم، صص ۲۷- ۳.

- عسکری، عسکر(۱۳۸۷ش) **سیر نظریه‌های نقد جامعه شناختی ادبیات**، فصلنامه ادب پژوهشی، دوره يك، شماره۴، صص ۶۴- ۴۳.

- علایی، مشیت (۱۳۸۰ش) **نقد ادبی وجامعه شناسی**، کتاب ماه وادبیات وفلسفه، شماره ۴۶ و۴۷، سال چهارم. مرداد وشهریور، صص ۳۳- ۲۰.

- فاضلی،نعمت الله (۱۳۷۴ش) **درآمدی بر جامعه شناسی هنر وادبیات**،فصلنامه علوم اجتماعی،دانشگاه علامه طباطبایی، دوره۴، شماره ۷ و۸، صص ۱۳۳- ۱۰۷.

- فراروتی، فرانکو (۱۳۷۷ش) **لوکاچ، گلدمن وجامعه‌شناسیِ رمان. درآمدی بر جامعه‌شناسی ادبیات**: مجموعه مقاله، گزیده و-ترجمه‌ی محمد جعفر پوینده، تهران: انتشارات نقش جهان.

- کوثری، مسعود (۱۳۷۹ش) **تأملاتی در جامعه شناسی ادبیات**، تهران: انتشارات باز.

- غولدمان، لوسین (۱۳۷۱ش) **جامعه شناسی ادبیات** (دفاع از جامعه‌شناسی رمان)، ترجمه: محمد جعفر پوینده، چاپ اول، تهران: نشر هوش وابتکار.

- _____ (۱۳۷۶ش) **پیوند آفرینش ادبی با زندگی اجتماعی**، ترجمه: محمد جعفر پوینده، تهران: نشر چشمه.

- _____ (۱۳۸۱ش) **جامعه شناسی ادبیات**(دفاع از جامعه شناسی رمان)،مترجم: محمد جعفر پوینده،نشر چشمه.

- الماضي، شكري عزيز (۱۹۸۶م) **في نظرية الأدب**، الطبعة الأولى، بيروت: دار الحداثة.

- منتظري، آزاده وخاقاني، محمد وزركوب، منصوره (۱۳۹۱ش) **النقد الإجتماعي للأدب، نشأته وتطوره**، فصلية إضاءات نقدية (فصلية محكمة)، السنة الثانية، العدد السادس، صيف ۱۳۹۱ش/ حزيران ۲۰۱۲م. صص ۱۵۱- ۱۷۲

- میر صادقی، جمال ومیمنت، (۱۳۷۷ش) **واژه نامه هنر داستان نویسی**،انشارات مهناز.

- ولك، رنه و آستین وارن (۱۳۷۳ش) **نظریه ادبیات**،تهران: انشارات علمی وفرهنگی،چاپ اول.

- هویدی، صالح (۱۴۲۶ق) **النقد الأدبي الحديث، قضاياه ومناهجه**، الطبعة الأولى. ليبيا: منشورات جامعة السابع من أبريل.

Abstract

A Study of the Novel “Al-Hariq” by Muhammad Dib in the Light of Lucien Goldman’s Theory of Structuralism

Azadeh Montazeri*
Mahmoud Reza Tavakoli Mohammadi**
Ali Baqer Taherenia***

Literary sociology, or the sociology of literature, is one of the new trends that have emerged in the field of literature and seeks to study the relationship between literature and society. According to this theory, based on the descriptive-analytical method, this article has targeted a sociological study of the novel "Al-Hariq" by Mohamed Dib, a contemporary Algerian writer. In this regard, elements of the semantic contexts of the novel are studied, such as knowledge of current and potential awareness of characters, problematic heroes, and individual awareness. The point worth noting was that the characters of the novel did not transform throughout the novel and that their current consciousness did not transform into a possible consciousness. In the end, it must be said that Mohamed Dib excelled in presenting the social picture of Algeria and drawing the semantic contexts of the novel, which appeared in the social and political levels of the novel from the extreme poverty of the Algerian people due to the oppression of the French, the fatal cultural weakness, people’s efforts to change the situation, and other social and political contexts that influenced Muhammad Dib and caused the writing of this wonderful novel.

Keywords: Sociological Study, Structuralism, Muhammad Dib, Al-Hariq.

* Assistant Professor, Department of Arabic Language, Qom University (Corresponding author)
a.montazeri@qom.ac.ir
** Assistant Professor, Department of Arabic Language, Farhangian University
mr.tavakoli@cfu.ac.ir
*** Professor, Department of Arabic Language, University of Tehran
btaheriniya@ut.ac.ir